سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «العقيدة الوَاسِطِيَّةِ»

الدرس العشرون

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس العشرون

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [التغابن]، وَقَوْلُهُ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان]، وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المؤمنون]، وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [النحل]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف].

.. وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله؛ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد؛ فهٰذه الجملة من الآيات فيها معنىٰ التوحيد، وفيها نفي الشريك عن الله جل وعلا، وفيها تحريم ضرب الأمثال لله جل وعلا.

وهٰذه الآيات التي فيها نفي الشريك عن الله جل وعلا يراد منها مع أجناسها وما كان في معناها مما لم يذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يراد منها:

- التنزيه.
- والإثبات.

وذلك لأن التنزيه وحده ليس بكمال، وكماله - كمال النفي - إنما يكون في الإثبات مع التنزيه. فنفيُ أن يكون لله جل وعلا شريكًا في ربوبيته معه كمالُ حمد الله جل وعلا في ربوبيته.

يعني إثبات جميع أنواع الكمالات في الربوبية لله جل وعلا.

فهنا التَّسبيح والتنزيه، ولهٰذا أورد الآيات التي فيها التحميد، والآيات التي فيها التسبيح.

- وآيات التسبيح فيها التنزيه وهو النفي والتخلية.

- وآيات التحميد فيها الإثبات.

وهٰذه قاعدة أهل السنة أنهم يجمعون بين النفي والإثبات؛ وعندهم أن النفي مجمل وأن الإثبات مفصل.

فذكر قول الله جل وعلا: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾، ثم قول الله جل وعلا: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ فهاتان الآيتان متقابلتان، الآية الأولىٰ فيها حمد الله والآية الثانية فيها تسبيح الله.

والتسبيح معناه في اللغة وأيضا في القرآن معناه: التنزيه والإبعاد.

تقول العرب (سبحان فلان من كذا) إذا أرادت أنه بعيد من كذا، كما قال الأعشىٰ في بعض شعره:

أقـــول لمـــا جاءنـــي فـخـــره سـبحان مـــن علقمـــة الفاخـــر

يعني بعيد هٰذا، فالتسبيح معناه الإبعاد والتنزيه عن هٰذا الشيء:

أقـــول لمـــا جاءنـــي فـخـــره سـبحان مـــن علقمـــة الفاخـــر

يعني سبحان الفاخر من علقمة، يعني يبعد أن يكون ثم مفتخر بعلقمة، بعيد ذلك.

إذا كان كذلك فمعنىٰ التسبيح لله جل وعلا تنزيه الله جل وعلا، وإبعاد الله جل وعلا عن كلِّ ما لا يليق بجلاله وعظمته، ففي معنىٰ ذلك:

- تنزيهه عن الشركة في ربوبيته.
- وتنزيهه عن الشريك في ألوهيته.
- وتنزيهه عن الشريك في أسمائه وصفاته.
- وتنزيهه عن الشريك في قضائه وقدره.
- وتنزيهه عن الشريك في حكمه وأمره.

فهٰذه خمسة أشياء يقابلها الإثبات، في:

- إثبات جميع كمالات الربوبية لله جل وعلا، وهٰذا معنىٰ الحمد.
- وإثبات جميع كمالات الألوهية لله جل وعلا.
- وإثبات جميع كمالات الأسماء والصفات لله جل وعلا.

- وإثبات جميع كمال القضاء والقدر لله جل وعلا، يعني القضاء والتقدير.
- وإثبات جميع كمالات الحكم والأمر لله جل وعلا.

هٰذا معنىٰ الحمد.

فإذن في قوله: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ فيها إثبات للكمال في الربوبية؛ ولهٰذا قال في الآية الأولىٰ جل وعلا: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا ﴾؛ فكون الله جل وعلا لم يتخذ ولدا هٰذا من أسباب حمده جل وعلا؛ فهو يحمد علىٰ كماله في الربوبية، وعلىٰ كماله في الأسماء والصفات، وعلىٰ وجوب وثبوت جميع أنواع الجلال والكمال له في ذلك؛ ولهٰذا لم يتخذ ولدا؛ فلأجل ثبوت الحمد له لم يتخذ ولدا، لأجل ثبوت الحمد لله جل وعلا لم يكن له شريك.

ولهٰذا أعظم الكلمات التي تجمع بين هذين الأمرين اللذين يحبهما الله جل وعلا كلمتا التسبيح والتحميد: (سبحان الله والحمد لله) و (سبحان الله وبحمده) ونحو ذلك مثل ما جاء في الحديث «كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلىٰ الرَّحمٰن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» لأنها تشتمل علىٰ التنزيه والإثبات.

أيضا من أفراد الإثبات لله جل وعلا أنه قال: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ ﴾ وهٰذه هامة ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ ﴾ و ﴿شَرِيكٞ ﴾ هنا نكرة أتت في سياق النفي فيشمل جميع ما يمكن من أنواع الشَرِكَةِ في الملك والشركة في الملك:

- قد تكون شركة علىٰ وجه الاستقلال هٰذا واحد.
- وقد تكون شركة علىٰ وجه البعضية، يعني لا ينفرد الشريك بملك ولكن يشارك في بعضه.
- وقد تكون الشركة بغير ذلك.

فالله جل وعلا نفىٰ جميع أنواع الشركة له في ملكه جل وعلا.

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ ﴾ هٰذا النفي المتكرر في قوله: ﴿لَّمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ ﴾ هٰذا كله لأجل ثبوت الحمد له جل وعلا؛ ولهٰذا قال: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي ﴾ الحمد للمنعوت بأنه ﴿لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ ﴾.

الولي يعني: الناصر، والذُّل يعني: الضعف والاحتياج.

* وبعدها الآية ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾

قال أهل العلم إن التسبيح كما ذكرت لكم هو التنزيه لله جل وعلا عما لا يليق به ولا يليق بجلاله وعظمته.

وقوله هنا ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾ هٰذا في مقام التعليل؛ يعني ثبت التسبيح له لعلة كونه جل وعلا له الملك وله الحمد، قال: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١﴾، وقوله: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾ و ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ هٰذه الثلاث من اللامات مختلفة:

* فمعنىٰ الأولىٰ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ معناها يسبح اللهَ؛ (سبح فلان الله) ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ اللام هٰذه للإخلاص لأنهم يسبحونه لا يسبحون غيره جل وعلا، وكل ما في السَّمٰوات وما في الأرض يسبح الله ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ يعني يسبح الله ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾[الإسراء:٤٤].

* قوله: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ اللام هٰذه لام المِلك؛ يعني هو جل وعلا ذو المُلك وذو المِلك؛ والمُلك والمِلك نوعان:

- المُلك منها المَلِك وهو الذي ينفُذُ أمره في مُلكه.

- وأما المِلك بالكسر فمنها مالك يعني هو الذي يملكه مِلك الأعيان.

ولهٰذا في آية الفاتحة ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ جاءت و﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، فـ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ هٰذا من المِلك و﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ هٰذا من المُلك، والله جل وعلا هو مالكه ليس لأحد فيه نصيب وأيضا هو ملكه الذي ينفُذُ فيه أمره ولا أحد ينفذ أمره فيه يعني في ذلك اليوم.

* الثالث ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾ مثل قوله ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ هٰذه لام الاستحقاق، وضابطها أنها التي يكون بعدها أو التي تضيف المعاني إلىٰ الذوات.

ولام المِلك هي التي تضيف الأعيان أو الذوات للذوات.

مثلا تقول: (الفخر لي)، (المجد لفلان)، (العز لفلان) هٰذه كلها معاني، اللام، (العز لفلان)، (المجد لفلان)، (الاجتهاد لفلان) يعني علىٰ جهة الاستحقاق.

أما إذا كان قبلها عين، ذات فهي تجعل هٰذه الذات مِلكا لمن أضيفت له فتقول: (الكتاب لأحمد) يعني مِلكا، هٰذان نوعان في هٰذا السياق.

بقي نوع ثالث وهي لام الاختصاص أو شبه المِلك وهي كثيرة أيضا في القرآن، ليس هٰذا محل إيضاحها.

* كذلك في قوله جل وعلا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾.

هنا قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ هٰذا لفظ خاص بالله جل وعلا فلا يجوز أن يقال في حق أحد غير الله جل وعلا: (تبارك فلان)؛ لأن الله جل وعلا هو الذي له البركة وهو الذي تبارك.

ومعنىٰ (تبارك) يعني: دام كماله وخيره وثبت واستقر.

فمن الذي يدوم خيره؟ هو الله جل وعلا

ابن عباس قال: ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم.

قال طائفة من المحققين: لا يريد ابن عباس بقوله: (﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم) أنه تفسير للفظ؛ ولكن يقول هي علىٰ وزنها من جهة كونها مقصورة؛ لأن الأصل في (تفاعل) أن يكون بين اثنين لا يكون لازما؛ تقول (تقاتل فلان وفلان)، (تشاجر آل فلان وآل فلان) وهكذا، فتفاعل في الأصل أنها تكون بين اثنين.

ابن عباس رضي الله عنه فسرها ﴿تَبَارَكَ﴾ بمعنىٰ تعاظم يريد أنها لازمة، لا يريد معنىٰ كلمة تبارك، وإلا فإن البركة معناها دوام الخير وثباته واستقراره.

وهٰذا مشتق عند العرب من البُروك والبِرْكة ونحو ذلك، والبروك به يستقر البعير ويثبت في مكانه، والبِرْكة هي التي فيها يدوم الماء ويستقر ويثبت بعد المطر.

إذن هنا ﴿تَبَارَكَ﴾ فيها دوام الخير وكماله وثباته واستقراره.

فنفهم من ذلك أن ﴿تَبَارَكَ﴾ فيها إثبات جميع الكمالات لله جل وعلا الذاتية، وما يفيضه الله جل وعلا علىٰ عباده من الخيرات، ولهٰذا فيها معنىٰ الإثبات الذي في الحمد، ولهٰذا قال جل وعلا هنا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ وإنزال الفرقان الذي هو القرآن علىٰ النبي ﷺ، هٰذا من أعظم؛ بل هو أعظم الخير الذي أوتيه عليه الصلاة والسلام وهو أعظم الخير الذي أعطيَتْه هٰذه الأمة، لهٰذا ناسب

في تنزيله أن يقول: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾؛ لأن هٰذا من النعم العظيمة، فدام خير الله وكمل، الذي صفته أنه ﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ﴾ النبي ﴿لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.

قال هنا: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾، هٰذه مثل ما سبق في معناها أنها فيها نفي الولد عن الله جل وعلا، ونفي الولد عن الله جل وعلا لأجل كمال غناه وكمال ربوبيته وكماله في أسمائه وصفاته، وكذلك نفي الشريك عن الله جل وعلا في الملك لكماله في ربوبيته وفي أمره وفي أسمائه وصفاته.

* كذلك قوله جل وعلا: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾.

قوله هنا: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ كسابقاتها في نفي الولد عن الله جل وعلا، وادعاء الولد لله جل وعلا ادعته طوائف من الناس، ومن أشهر أولئك:

- النصارىٰ في أكثر فرقهم؛ ادعوا أن عيسىٰ ابن لله وولد له، تعالىٰ الله عما يقولون علوا كبيرا.

- ومنهم اليهود، فادعت طائفة قليلة منهم أن عزيرا ابن الله، وليس هٰذا من القول المشتهر عند اليهود، يعني في طائفة ليست هي الأكثر بين اليهود.

الله جل وعلا نفىٰ ذلك، ونفىٰ أيضا ما تعتقده العرب في الملائكة بأنها بنات الله فقال جل وعلا ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ فيه رد علىٰ النصارىٰ ورد علىٰ اليهود، ورد علىٰ مشركي العرب.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ هٰذا فيها التنصيص الصريح بنفي إلٰهية أحد مع الله جل وعلا؛ وذلك لأن النكرة هنا وهي (إِلَٰهٍ) جاءت في سياق النفي، وجاء قبلها حرف الصِّلة الذي هو (من).

حرف الجر (من) هٰذا الذي هو مزيدٌ قبل النكرة في سياق النفي ليفيد نقل النفي من ظهوره في العموم إلىٰ كونه نصًّا في العموم، يعني لا يستثنىٰ من ذلك شيء.

قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ كذلك هٰذا نفيٌ لجميع الولد، لكن لو قال مثل ما في المواضع الأخرىٰ، لو كانت كل المواضع (لم يتخذ ولدا) لكان هٰذا ظهور في العموم يحتمل أن يستثنىٰ منه بعض الحالات، يحتمل وإن كان الاحتمال مرجوحا ضعيفا كما هو مقرر في الأصول.

لكن قوله هنا: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ في زيادة (من) قبل النكرة في سياق النفي يفهمنا أن المواضع التي نفي فيها الولد عن الله جل وعلا أن المراد منها التنصيص الصريح علىٰ نفي الولد، وهٰذا لا يخرج عنه أحد، ولهٰذا شملت جميع أولئك.

كذلك قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ ﴾ والإله هو المعبود كما هو معلوم لكم وقررناه أكثر من مرة، الإله فعال بمعنىٰ مفعول معبود؛ لأنه مأخوذ من الألوهة والألوهة بمعنىٰ العبادة أو العبودية.

من له الألوهة؟ من له العبادة؟ من له العبودية؟ هي لله جل وعلا.

إذن قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ ﴾ يعني لم يكن معه أحد يستحق أن يعبد.

* ثم قال جل وعلا: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ ﴾.

إذا كان ثم أحد يصح أن يكون إلها فلا بد أن يكون مالكا، ولا بد أن يكون خالقا لما ملك، فالله جل وعلا قال في هٰذه الآية ﴿إِذًا ﴾ يعني لو كان ثم إله معه لكان هٰذا الإله مالكا لشيء، وإذا كان مالكا لشيء فهو خالقا له؛ ولهٰذا قال: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ فصار عدة أنواع من الملكوت، وكل ملكوت له خالق، وكل خالق يعبده من في ذلك الملكوت.

وهٰذا من أعظم الفساد الذي يكون، وهٰذا هو الذي نفي في آية الأنبياء.

قال سبحانه هنا: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ وهٰذا لأجل أن الألوهية والربوبية – لأن الخلق من أفراد الربوبية؛ الخلق والرَّزق والإحياء والإماتة من أفراد الربوبية–، فهنا قال: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ وذلك لما بين الألوهية والربوبية من الترابط:

فالألوهية متضمنة للربوبية والربوبية مستلزمة للإلهية، يعني من كان إلها فهٰذا متضمن؛ يعني كونه إلها، كونه اعتُقد فيه أنه إله أو ادعىٰ أنه إلٰه – يتضمن هٰذا الادعاء أنه رب أنه خالق وأنه مالك علىٰ وجه الاستقلال متضمن له؛ لأن ثبوت الإلهية يعني ثبوت استحقاق العبادة لا يكون إلا بعد ثبوت الربوبية، وأما الربوبية فهي مستلزمة للإلهية، ولهٰذا تجد في آيات القرآن أن الله جل وعلا يحتجُّ علىٰ المشركين فيما أنكروه من توحيده جل وعلا في إلهيته وأنه لا إله غيره، يحتج عليهم فيما أنكروه بما أقروا به وهو توحيد الربوبية من مثل قول الله جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ

مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾[الزمر:٣٨]؛ فأثبت أنهم يقرون بتوحيده في ربوبيته وفرع عليها، رتب عليها ما يلزم من ذلك وهو أن يفردوه في إلهيته.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾[يونس:٣١]؛ هٰذه جميعا أفراد الربوبية، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾، فلما قامت عليهم الحجة في الربوبية قال جل وعلا لنبيه ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ والفاء هٰذه عاطفة لما بعدها علىٰ جملة محذوفة قبلها بعد الهمزة دل عليها السياق؛ يعني: أتقرون بأنه واحد في ربوبيته فلا تتقون الشرك به ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾؛ يعني فذلكم الإله المستحق للعبادة وحده ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ ﴾[يونس:٣٢].

لهٰذا قال جل وعلا في هٰذا بعد أن نفىٰ الشريك ذكر التسبيح قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾؛ يعني تنزيها لله عن كل ما وصفه المشركون. ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ فنزه الله جل وعلا نفسه وعالىٰ جل وعلا نفسه عما ادعاه المشركون.

* قال جل وعلا بعد ذلك في الآية الأخيرة التي ساقها شيخ الإسلام: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾؛ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ الأمثال جمع مثل وهي النعوت والأوصاف والأقيسة وذلك أن المشركين عبدوا غير الله بالقياس علىٰ عبادتهم لله، فعبدوه بالأقيسة وجعلوا الخلق مثلا وضربوا لله جل وعلا نعوتا وأوصافا من عندهم وأمثالا شبهوها حتىٰ تستقيم عبادتهم للأوثان والأصنام.

فقوله هنا: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ يعني فلا تجعلوا لله النعوت والأوصاف والأمثال والتشبيهات، وذلك لأنكم جاهلون بما يستحق الله جل وعلا وما يجب تنزيهه عنه، وعلل ذلك النهي بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لما تقرر أن (إن) وما دخلت عليه إذا أتت بعد النهي أو الأمر فإنها تفيد التعليل.

فإذن لماذا نهوا عن ضرب الأمثال لله؟ لماذا نهي كل الخلق عن أن يضربوا لله الأمثال؟ نهوا عنها لأنهم لا يعلمون، والذي يعلم ما يجب له وتفاصيل ما يستحق وما يصلح له من الأمثال وما لا يصلح هو الله جل وعلا، لهٰذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، ثم بعدها ضرب الله جل وعلا الأمثال التي تصلح له جل وعلا بقوله: ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ

يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾[النحل:٧٥] إلىٰ أن قال في الآية بعدها: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾[النحل]. .....[١]

فيها شيئان: فيها تنزيهه جل وعلا عما ادعاه المشركون؛ لأن المشركين فيما ادعوه لله ضربوا الأمثال، فهٰذه الآية جعلها شيخ الإسلام بعد الآيات السابقة لأنها في معنىٰ التسبيح، الله جل وعلا نزه نفسه عما قاله المشركون ومن ضمن ذلك أنه نهىٰ أن تُضرب له الأمثال لتنزيهه جل وعلا وتسبيحه عما ادعاه المشركون فيه جل وعلا.

* وفي الآية الأخيرة قال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

هٰذا من جنس الآيات التي قبلها فالمشركون قالوا علىٰ الله بغير علم وقاسوا الآلهة علىٰ الله، وقاسوا ما تستحقه الآلهة علىٰ ما يستحقه الله؛ فجعلوا بعض خصائص الألوهية لهٰذه الآلهة من البشر والحجر ومن الصالحين وغيرهم.

هٰذه الآيات كما ترىٰ فيها نفي الشريك عن الله جل وعلا، وهٰذا محتمل:

- لنفي الشريك عنه في ربوبيته.
- ونفي الشريك عنه في إلٰهيته.
- ونفي الشريك عنه في أسمائه وصفاته.
- ونفي الشريك عنه في قضائه وقدره.
- ونفي الشريك عنه في حكمه وأمره.

وهٰذه كلها جاءت مفصلة في القرآن هٰذه الخمسة التي هي أصول معاني التسبيح والتحميد.

.....[٢]

---

(١) يوجد هنا قطع بالتسجيل الصوتي.

(٢) مناقشة مع الطلاب.

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ هٰذا كما سبق في الآيات فيه التسبيح وفيه التحميد.

ذكرتُ **أولا** أن فيه التنزيه وهٰذا هو مقام التسبيح؛ فيه تنزيه الله جل وعلا لأن المشركين ضربوا الأمثال ولم ينزهوا الله جل وعلا ولم يسبحوه يعني أبعدوه عن كل نقص ولم ينزهوه عن نقص بل جعلوا لبعض المخلوقين ما لله جل وعلا، ففاتهم التنزيه فضربوا الأمثال فوقعوا في أنهم جعلوا بعض خلق الله كالله جل وعلا في ما يستحق وما لا ينبغي معه.

والثاني إثبات الكمالات التي هي الحمد؛ وأن المشركين لم يثبتوا ما يستحق الله جل وعلا من الكمالات، فلذلك المشرك ليس بمسبح ولا بحامد لله جل وعلا علىٰ وجه الكمال.

من الذي يسبح الله ويحمده علىٰ وجه الكمال؟ هو المؤمن، المسلم.

أما المشركون فقد يسبحون الله في بعض الأمور، ينزهون الله في بعض الأمور، ويشركون به في بعض آخر؛ فمثلا: إذا أتىٰ في الربوبية ينزهون الله عن الشريك، في القضاء والقدر ينزهون الله عن الشريك؛ لكن في الأسماء والصفات لم ينزهوا الله عن الشريك؛ لم يسبحوه جل وعلا عن الشركاء، كذلك في الألوهية عبدوا معه غيره، كذلك في الحكم والتحاكم والأمر لم ينزهوا الله جل وعلا عن أن يكون معه أحد يشترك معه في تشريع الحكم كما قال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ ﴾[الأنعام:٥٧].

فهٰذان الشيئان، - يعني كونهم لم يسبحوا ولم يحمدوا- هٰذان الأمران لأجل أنهم لا يعلمون؛ فإذن العلم فيه إثبات التسبيح والحمد لله جل وعلا علىٰ أكمل الوجوه.

التحميد كما ذكرت لكم إثبات الكمالات في الربوبية والألوهية، والربوبية ليس هو الذات فقط؛ فيها أشياء ذاتية وفيها متعدية، مثل الخلق متعدي، الإحياء متعدي، الإماتة، إلىٰ آخره ؛ ففيها التعدي...

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[طه]، [﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فِي سِتَّةٍ](١) مَوَاضِعَ:

فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ؛ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الأعراف:٥٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[يونس:٣].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الرعد:٢]

وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[طه:٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[الفرقان:٥٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ آلم السَّجْدَةِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[السجدة:٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤].

هٰذه الآيات هي معطوفة علىٰ ما سبق الاستدلال به من آيات علىٰ إثبات الصفات لله جل وعلا، ومن الصفات المثبتة لله جل وعلا صفة الاستواء علىٰ العرش.

والاستواء علىٰ العرش ذُكر في مواضع عدّة من كتاب الله جل وعلا مثل ما ذكر لكم في هٰذه المواضع السبعة.

وكونه يتكرر في هٰذه المواضع باختلاف أيضا في التقديم والتأخير ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وآية طه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، وآية سورة الفرقان ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ يعني ثم استوىٰ الرَّحمٰن علىٰ العرش ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾.

---

(١) في التسجيل الصوتي: في سبعة.

فإذن تنوعت الآيات من حيث التركيب في الدلالة علىٰ هٰذه الصفة؛ ولهٰذا هٰذا اللفظ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ هو من الاستواء، والاستواء معروف معناه في اللغة.

ولهٰذا لما كانت هٰذه الصفة فيها إثبات بوضوح لصفات الله جل وعلا، وفيها عند المبتدعة ما يُتَوَهَّم فيه المماثلة أو مشابهة المخلوقين كانت هٰذه الصفة فاصلة بين أهل السنة وبين غيرهم.

فالإقرار باستواء الله علىٰ العرش حقيقة كما يليق بجلال الله جل وعلا وعظمته هٰذا لا يقول به إلا سنّي.

وأما غير أهل السنة كالأشاعرة والماتريدية وغير هؤلاء من الفرق فإن هٰذه الصفة عندهم محلّ فرقان، فإذا أتىٰ من يثبتها نفوه أن يكون منهم، وذلك لأجل الخلاف القديم في هٰذه الصفة وفي أمثالها.

وقد سئل كما تعلمون الإمام مالك عن الاستواء فقال: (الاستواء غير مجهول) وفي لفظ آخر قال: (الاستواء معلوم)؛ لكن الأشهر (الاستواء غير مجهول) يعني غير مجهول المعنىٰ في اللغة، (والكيف غير معقول، والإيمان به واجب وإنكاره بدعة وما أراك إلا مبتدعا).

هٰذه الصفة صفة الاستواء كما قال الإمام مالك: (الاستواء غير مجهول) أو (الاستواء معلوم) يعني في اللغة، فلهٰذا أهل السنة قاعدتهم في هٰذه الصفات أنهم يؤمنون بما وصف الله جل وعلا به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من الصفات، ويفهمون ذلك ويثبتونه علىٰ مقتضىٰ اللسان العربي، ومعلوم أن اللسان العربي من حيث المعاني: فيه المعاني الكلية وفيه المعاني الإضافية.

فهناك معاني كلية هٰذه - بشرط الكلية - لا توجد إلا في الأذهان؛ يعني (أن نتصور معنىٰ عام للاستواء من غير إضافته لأحد) هٰذا بحث لغوي بحت؛ لكنه في الواقع غير موجود، فكيف إذن تفسَّر الألفاظ اللغوية؟

الألفاظ اللغوية تفهمها العرب وتفسرها بالمعنىٰ العام الكلي الذي يكون في الذهن، وإذا صار مضافا في الخارج إلىٰ لأشخاص فإنه تكون الإضافة فيه بحسب ما يليق بالمضاف إليه.

فمثلا الاستواء، الاستواء في اللغة معلوم المعنىٰ غير مجهول المعنىٰ، ومعناه: معنىٰ الاستواء العلو والارتفاع، فتقول مثلا (استويت علىٰ الراحلة) إذا علوت عليها، الاستواء هو العلو والارتفاع؛ لكن هٰذا العلو والارتفاع مضاف إلىٰ أي شيء؟

علو وارتفاع المخلوق، علو وارتفاع رجل، علو وارتفاع صاعد لجبل، هل هو علو وارتفاع الخالق ؟ أي علو وارتفاع؟

فإذن تفسير الاستواء بالمعنىٰ العام في اللغة هٰذا هو الذي ينفي التشبيه وينفي التمثيل؛ لأنه يقع التمثيل إذا سوِّي في الخارج بين من أضيف له الاستواء؛

فقيل في الرجل استوىٰ والله جل وعلا علىٰ العرش استوىٰ.

الملك استوىٰ علىٰ عرشه والله جل وعلا استوىٰ علىٰ عرشه.

الاستواء من حيث كونه معنىٰ كليا في الذهن معناه واحد؛ لكن إذا أضيف، إذا خصص به فإن المعنىٰ يختلف، يكون بحسب من خصص به؛ وهٰذه قاعدة مهمة (أن المعاني الكلية تختلف معانيها بالإضافة والتخصيص)؛ الإضافة والتخصيص إلىٰ من فعل الفعل أو من اتصف بالوصف، فعندنا صفة المحبة، الله جل وعلا له المحبة والمخلوق أيضا له المحبة، المحبة من حيث اللغة إذا قال: ما المحبة؟

إذا فسرها لغوي بما يجعل في ذهنه أن المراد بالمحبة محبة المخلوق فإنه هنا يغلط؛ لأن الواجب في تفسير الألفاظ اللغوية أن تفسر بالمعاني الكلية التي لا توجد في الخارج؛ لكي تشمل جميع الأصناف: تشمل محبة المخلوق، تشمل محبة الإنسان الطبيعة؛ كمحبة الرجل للمرأة، المرأة للرجل محبة الحيوانات الأم لولدها والولد لأمه، محبة الملائكة، تشمل محبة الله..

هٰذا المعنىٰ الكلي هو الذي يشمل الجميع، وإنما يختلف في الخارج باختلاف الإضافة والتخصيص.

ولهٰذا في الاستواء الله جل وعلا أثبت أن بعض خلقه له الاستواء فقال: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾؛ يعني علوتم وارتفعتم علىٰ الفلك ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾[المؤمنون].

كذلك في قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾[القصص:١٤] يعني موسىٰ عليه السلام، هنا (استوىٰ) بلا حرف جر، لكن من الذي استوىٰ؟ هنا موسىٰ.[1]

الله جل وعلا أيضا استوىٰ علىٰ العرش فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

الاستواء من حيث هو معنىٰ كلي هو (العلو والارتفاع).

---

[1] انتهى الشريط الحادي عشر

إذا أضفته وخصصته فيكون (ارتفاع المخلوق وعلوه بما يناسب ذاته) وإذا أضفته إلىٰ الله صار (ارتفاع وعلو الله جل وعلا بما يناسب ذاته العلية).

ولهٰذا من القواعد المقررة عند أهل السنة في هٰذا أن (**الفرق بين الصفة والصفة كما بين الذات والذات**).

الفرق بين صفة المخلوق وصفة الله إذا اشتركا في أصلها الفرق بينهما كما الفرق بين الذات والذات.

ولهٰذا شيخ الإسلام في «التدمرية» وفي كتبه الكبار يقول: لا توجد فرقة من الفرق التي ظهرت في هٰذه الأمة تنفي عن الله جل وعلا جميع الصفات ولا تثبت له صفة واحدة، ما يوجد، بل أغلا الفرق هي الجهمية، والجهمية تثبت صفة واحدة وهي صفة الوجود - وهٰذا نؤصل لك المسألة ونفصل الكلام عن الاستواء إن شاء الله في الدرس القادم -

الجهمية تثبت صفة واحدة وهي صفة الوجود.

هناك المعتزلة يثبتون ثلاث صفات.

الأشاعرة المتقدمون يثبتون سبع وبالتفصيل تصير عشرين.

الماتريدية ثمان ويزيدون علىٰ ذلك.

وأهل السنة والجماعة يثبتون جميع الصفات.

يقول: لا يوجد أحد ينكر جميع الصفات بمعنىٰ لا يثبت صفة واحدة، الجهمية وهم الغلاة يقولون له صفة الوجود، ما صفة الرب؟ ما صفة إلهكم؟ ما صفة الله عندكم – يعني عند الجهمية -؟ فيقولون: صفته الوجود المطلق.

فيقول شيخ الإسلام في كتبه -وهي حجة دامغة- يقول: إذا كان كذلك فيُلْزَم كل من أنكر صفة لمعنىٰ المماثلة والمشابهة والتجسيم أن يقولها فيما أثبت من الصفات.

فمثلا عندك الجهمية يقول: اطعن علىٰ الجهمي بصفة الوجود، فيقول: ألست بموجود يا جهمي، تخاطب الجهمي تقول يا جهمي ألست بموجود؟

الله موجود، أليس في هٰذا تمثيل؟

فلا بد له أن يجيب بقوله، ليس له محيد عن جواب واحد وهو أن يقول: وجود الخالق غير وجود المخلوق؛ لأنه ليس ثم حيلة إذا نفىٰ حتىٰ صفة الوجود عن الله صار عدما إله معدوم، هٰذا ما يقوله عاقل.

فهم نفوا جميع الصفات لأجل التمثيل وقالوا: الوجود هٰذا لا بد منه لأنه ما يستقيم إلا به.

يقول تبدأ معه بالطعن بهٰذه: ما الفرق بين ما أثبتَّ وما نفيت؟

تذهب إلىٰ المعتزلة كذلك في تفصيل هٰذه المسألة: ما الفرق بين إثباتك الحياة ونفيك ذلك، أو القوة أو القدرة ونفي بقية الصفات؟

يقول له قدرة تناسبه، دل العقل علىٰ ذلك وأما قدرة المخلوق فتناسبه.

نقول هٰذه قاعدة في جميع الصفات يجب أن تُطْرَد.

فيكون هنا الكلام إذن علىٰ أن القول **في الصفات كالقول في الذات يحتذىٰ فيه حذوه وينهج فيه منهاجه**، يعني كالقول في الذات.

كما أن إثبات الذات لله جل وعلا هو إثبات وجود لا إثبات كيفية؛ فكذلك إثبات الصفات هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، **كذلك الفرق بين الصفة والصفة كما بين الذات والذات** .

هٰذه قاعدة أخرىٰ، وهٰذه القواعد مما ذكرها الخطّابي في كتابه «معالم ... » في كتابه في التوحيد يعني سلك به مسلك الأشاعرة لكنه قعد تقعيدات جيدة؛ أظنه «معالم أصول الدين» أو نحو هٰذه الكلمة – المقصود قعد فيها قواعد وأهل السنة استفادوا هٰذه التقعيدات منه لأنها تقعيدات صحيحة.

الفرق بين الصفة والصفة كما أن الفرق بين الذات والذات.

الله جل وعلا هو المَلِك وأثبت أن بعض خلقه ملك فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ﴾[يوسف:٤٣].

الله جل وعلا سميع بصير كذلك بعض خلقه سميع بصير.

فإذن الفرق بين الصفة والصفة كما بين الذات والذات.

صفة الاستواء من الصفات التي وقع فيها الاشتباه معناها هو العلو والارتفاع علىٰ العرش، علو خاص وارتفاع خاص.

العلو صفة ذاتية لله جل وعلا لا تنفك عن الله جل وعلا.

الله جل وعلا لم يكن مستويا علىٰ العرش يعني لم يكن عاليا ومرتفعا علىٰ العرش علوا خاصا، هو لـه العلو المطلق الذي هو صفة ذاتية.

لكن العلو الخاص والارتفاع الخاص علىٰ العرش هٰذا لم يكن مستويا عليه جل وعلا ثم استوىٰ، وهٰذا لأجل أن الأدلة التي فيها الاستواء في أكثرها ذكر (ثم) ومن المعلوم أن (ثم) هٰذه للتراخي؛ تفيد أنه لم يكن كذلك ثم كان كذلك.

لهٰذا صفة الاستواء علىٰ العرش معناها أن الله جل وعلا قد علا وارتفع علىٰ عرشه علوا وارتفاعا خاصا؛ وإلا فإن صفة العلو له جل وعلا علىٰ وجه الاطلاق.

نقف عند هٰذا القدر، ونكمل إن شاء الله في الأسبوع القادم...

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com